

فى

صحة وشرح حديث عرض الأعمال

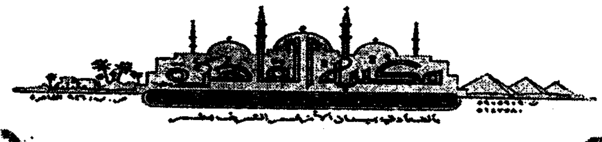
تأليف

الحافظ أبى الفضل عبد الله ابن العلامة الإمام
الحافظ الحجة الهمام، قدوة العلماء الأعلام،
شيخ المسلمين والإسلام، أبى عبد الله محمد
ابن الصديق الغمارى الحسنى الادريسى ﷺ

الطبعة الرابعة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

الناشر



تأسست ١٩٣٥م



رقم الإيداع بدار الكتب
٤٩١٦ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى I.S.B.N
٩٧٧-٤٠١-٠٢٠-٥

لصاحبها : على يوسف سليمان وأولاده

١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدى ١١٥١١ ـ الأزهر ـ القاهرة

Alqahirah٥٥@yahoo.com - Tarekali٥٩@yahoo.com

جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عبد الله بن مَسعُودٍ ﷺ عن النبى ﷺ قال: (حَياتى خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ وَوَفاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلِى أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ الله وما رَأَيْتُ مِنْ شَرٍ اسْتَغْفَرتُ الله لَكُمْ) .

تعليق أبو الفيض الحافظ أحمد الغمارى على هذه الرسالة

قلت : لما أطلع أخى أبو الفيض علىّ هذا الكتاب كتب يقول :

أما بعد : فساعة قرأت جزءك المسمى (**نهاية الآمال من حديث عرض الأعمال**) وهو جزء مفيد حسن وقلمك فيه قلم محدث محقق متذوق للفن يدل على أنك قد وجهت عنايتك للحديث أكثر من ذى قبل، لأن كتابتك فيه أعلى من كل كتابة رأيتها لك فى الحديث، وكنت أود لو وقفت على كتابتى فيه، فإنى كنت كتبت فيه كتابة مطولة للشيخ (يوسف الدجوى) رحمه الله، لأنى ذكرت فيها من الكلام على توجيه صحته ما لم تتعرض لَه والأمر سهل، وليس من الجزء ما يلاحظ إلا بنقلك عن المناوى المخرف قوله : (تُحْدِّثُونَ وَيُحْدِّثُ لَكُمْ) بتشديد الدال فيهما، فإن هذا من تخريفات المناوى المضحكة، فإن الرجل لفرط بلادته كان لا يدرى ما خرج من رأسه فى المتن والإسناد كما بينا الثانى فقط من المداوى البالغ ستة مجلدات .

فقولته الذى نقلته لا يوافق عليه لغة ولا معنى، أما اللغة فلا يقال يحدِّث لكم بل يقال تحدثون ويحدثون بفتح الدال من الثانى أو تحدثونى وأحدثكم، أما يحدث لكم فلا تساعده اللغة، وأما المعنى ففاسد من وجوه يطول ذكرها ويكفى من تعيين المراد قوله من الوفاة (تعرض على أعمالكم)، فهذا صريح من بيان معنى الشطر الأول وهو ما ذكرته أنت احتمالاً بعد كلام المناوى مع أن لا معنى للحديث إلا ما ذكرت فكان الواجب أن تصدر بكلامك ثم تنبه بعده على خطأ المناوى فى فهمه، ولعلك تعيد طبع الكتاب فتفعله إن شاء الله إلى كون المناوى خفيف العقل والعلم كما من المداوى .

ولما ذكرت الوجوه فى الجواب عن الإشكال الوارد على حديث الحوض، لم تنتبه جوابنا وهو قاطع لكل الأشكال قاله لَه من عروقه، فإن جوابنا عن هذا الإشكال أن قوله (إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك) تقرير أو خبر فى معنى الاستفهام كأنه قيل لَه لست أدرى ما

أحدثوا بعدك، وذلك لشفقته وحقيقته التى رتب عليها وهى الرحمة العامة للخلق كافة، أراد أن يتغاضى عن ذلك لعل الله يجيب إلى طلبه كما فعل مع بعض أهل الجاهلية، ومع عبد الله بن أبى سلول، فإن عمر لما ذكره بنفاقه لم يرجع عن ذلك طمعاً من رحمة الله تعالى، حتى نهاه ربه، وكذلك هؤلاء حتى قيل الست تدرى ما أحدثوا بعدك، فعند ذلك علم أن مراد الله منهم هو الطرد من الحوض إذ لو أراد سواه لغفر لهم ذلك الأحداث ولم يُذْكره، ثم إنى استغربت منك عدل الحديث من المتشابه الذى لا يعلم معناه مع أننا نجزم بأنه فى معاوية وأصحابه ممن حارب الإمام الحق وخرج عليه وفعل الأفاعيل، ولذلك كان الشافعى يقول: (لا ألوم أستاذنا مالكاً على شىء إلا على ما ذكره حديث الحوض فى الموطأ) وهذه من رهنات الأئمة الأكابر ﷺ، فإن ما حدث به رسول الله ﷺ لا يلام أحد على روايته بل يلام على تركه وتصنيعه والمقصود أن الشافعى فهم أن الحديث فى معاوية وأصحابه لا فى المرتدين، أنتهى .

قلت: أنا أجزم أيضاً بأن حديث الحوض فى معاوية وأصحابه، وإنما قلت أنه متشابه للرد على الوهابية الذين يزعمون أنه يرد حديث عرض الأعمال وهم لا يعتقدون أن حديث الحوض فى معاوية فبينت لهم أنه إذا لم يكن فيه فليس لَه معنى صحيح يحمل عليه ويكون على هذا متشابهاً فهذا إنما ذكرته على سبيل الإلزام .

أما المناوى فأنا أعرف أنه لا يعرف الحديث، ولا يعتمد تصحيحه، وتضعيفه .

وإنما اعتمدت ضبطه للحديث لظنى أن لَه خبرة بشىء من اللغة، لا سيما وقد شرح خطبة القاموس وهى تحتاج إلى تعمق فى اللغة ثم تبين أنه ليس بمتقن فيها .

ولهذه المناسبة أذكر أن الألبانى ضعف حديث عرض الأعمال وسلك فى تضعيفه مسلكاً يخالف الصناعة الحديثية ويخالف ما كتبته فى تعاليقه وكتبه الأخرى .

ذلك أنه يذكر فى كثير من تعاليقه الحديث الضعيف والواهن ثم يصححه أو يحسنه لشواهده، ولكن لما كان حديث عرض الأعمال يخالف رأيه ضعفه بحجة واهية وذكر بعده مرسل بكر بن عبد الله من طريقين صحيحين، ولم يجعلهما شاهدين يقويان طريق ابن مسعود مخالفاً الصناعة الحديثية وخالف صنيعه أيضاً وسجل بذلك على نفسه أنه ليس بمنصف .

وعلى هذا فتصحيحه وتضعيفه إنما هو على حسب مزاجه وهواه، وتلك الطريقة غير مرضية عند الله وعند العلماء بالحديث .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين، والرضى عن صحابته الطاهرين، أما بعد : فهذا جزء جمعته فى بيان صحة حديث (حياتى خير لكم) دعانى إلى جمعه ما رأيت من كثرة النزاع الواقع فيه بين فئات من الناس، وخوضهم فيه بغير هدى من علم ولا قاعدة مبنية على أساس، حتى زعم بعض الجهلة أنه حديث مكذوب لا يوجد فى شيء من الكتب الحديثية، وأنه مخالف لما ثبت فى الأحاديث الصحيحة القوية، وبالغوا فى الحط على من يورده فى مجلة أو كتاب، بأسلوب شديد من الشتم والسباب، فأردت أن أبين فى هذا الجزء خطأ هذه الدعاوى والأقاويل، وأكشف خطر ما تنبى عنه من أضاليل، محتكما فيما أورده إلى قواعد أهل الحديث والأصول، مستنداً إلى ما رجحه جمهور أهل المنقول والمعقول، وسميته (نهاية الآمال فى صحة حديث عرض الأعمال) وقدمته هدية إلى جناب النبى الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم عسى أن يشملنى بشفاعته فى الوقت العظيم، حين لا يتقدم للشفاعة غيره حتى الخليل والكليم، والله المسئول أن يحقق رجائى، ويقبل دعائى، إنه قريب مجيب، لا رب غيره، ولا خير إلا خيره.

المؤلف

باب

في ذكر طرق الحديث وبيان صحته

قال الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري الشهير بالبزار – المتوفى بالرملة سنة ٢٩٢ – في مسنده المشهور: حدثنا يوسف بن موسى ثنا عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله – يعني ابن مسعود – عن النبي ﷺ قال: (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) قال: وقال رسول الله ﷺ (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم).

قال البزار: لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا بهذا الإسناد. اهـ قال الحافظ زين الدين العراقي في كتاب الجنائز من طرح التثريب[١] في شرح التقريب: إسناده جيد، وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال إسناده رجال الصحيح، وكذا قال القسطلاني في شرح البخاري، وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الكبرى. إسناده صحيح، وكذا قال علي القاري والشهاب الخفاجي في أول شرحيهما على الشفا للقاضي عياض، وما حكم به هؤلاء صحيح لا غبار عليه، لأن رجال السند كلهم ثقات على شرط الصحيح، وما رمي به ابن أبي رواد من الإرجاء وغيره لا يضره بعد أن روى عنه كبار الأئمة مثل الشافعي وأحمد وابن معين، وصرح بتوثيقه أحمد

(١) هذا الكتاب من أواخر كتب العراقي، حتى إنه مات قبل إتمامه فأتمه من بعده ولده الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي، فكلامه هنا يقضي على كلامه في تخريج أحاديث الأحياء الذي ألفه في أول أمره حين كان عمره نحو عشرين سنة قبل أن تتسع دائرة حفظه وتكثر ممارسته للقواعد الحديثية، كما يعلم بالموازنة بينه وبين مؤلفاته التي ألفها بعده فإنها تدل على حفظ واسع واطلاع مدهش وخبرة كاملة بأصول الفن وقواعده بلغ بها رتبة الاجتهاد في علم الحديث الشريف.. ومن الدليل على ما نقول أنه عزا في تخريج أحاديث الإحياء حديث ابن عمر «أحلت لنا ميتتان ودمان» الحديث إلى الصحيحين مع أنه حديث ضعيف لم يروه من الستة إلا ابن ماجة.

(٢) والرجل إذا احتج به الشيخان فقد قفز القنطرة كما يقول الذهبي، وقد طعن في كثير من رجال الشيخين حتى رمي بعضهم بالكذب فلم يأبه العلماء، لهذا الطعن، لعلمهم أن فتح هذا الباب يؤدي إلى عواقب =

وابن معين وأبو داود والنسائى، واحتج به مسلم[٢] والأربعة. فلا عبرة بمن ضعفه بعد هذا وبالأخص ابن حبان فإنه يبالغ فى الجرح، قال الذهبى فى ترجمة أفلح بن سعيد المدنى من الميزان: ابن حبان ربما قصب[١] الثقة حتى كأنه لا يدرى ما يخرج من رأسه اهـ وقال فى ترجمة أيوب بن عبد السلام: ابن حبان صاحب تشنيع وتشغيب اهـ فالحديث من هذا الطريق على شرط مسلم، وله أيضًا طرق أخرى.

منها: ما رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده وابن عدى فى الكامل من طريق خراش عن أنس قال قال رسول الله ﷺ (حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم). قال الحافظ العراقى فى المغنى: إسناده ضعيف لضعف خراش اهـ. ومنها ما ذكره الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم اليونارتى المتوفى سنة ٥٢٧ – فى معجمه وهو فى عدة أجزاء، قال: سمعت الشريف واضح بن أبى تمام الزينبى يقول: سمعت أبا على بن تومة يقول: اجتمع قوم من الغرباء عند أبى حفص البخارى اهـ. واسمه كثير بن يسار البصرى الطفاوى. ووقع فى كتاب الصارم المنكى (ص١٧٨) كثير بن الفضل، وهو تحريف. وبالجملة فهذا السند صحيح كما قدمنا. وخرج السيوطى هذا الحديث فى الجامع الصغير من رواية ابن سعد فى الطبقات عن بكر المزنى أيضًا وقال شارحه المناوى: رجاله ثقات اهـ. هذا ما يتعلق بلفظ الحديث وتحقيق القول فى أسانيده وقد تبين مما ذكرناه أن الحديث صحيح لا يتطرق إليه شك ولا ارتياب فالإقدام على تضعيفه أو تكذيبه جراة قبيحة لا يجوز أن تصدر من مسلم تذوق معنى قول الله تعالى: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾.

فصل

وللحديث – مع هذا – شواهد تؤيد معناه. وتقوى مبناه بحيث يرتفع بها إلى أعلى درجات الصحة والقبول. وأنا أذكرها بحول الله تعالى مبتدئًا بأقربها إلى لفظه فأقول:

قال أبو نعيم فى الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر – هو أبو الشيخ بن حيان الحافظ المشهور – ثنا أحمد بن عيسى بن ماهان الرازى ثنا محمد بن مصفى ثنا بقية ثنا

= وخيمة، وللحفاظ كتب خاصة فى الدفاع عن الشيخين، منها كتاب العراقى فى الدفاع عن مسلم وكتاب ابن حجر فى الدفاع عن البخارى.

(١) أى أصاب قصبه وهى أمعاؤه كناية عن مبالغته فى التجريح.

عباد بن كثير عن عمران – هو القصير – عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أعمال أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة واشتد غضب الله على الزناة). وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من طريق عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد الشامي عن أبيه عن جده – وكانت له صحبة – قال: قال رسول الله ﷺ: (تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم) وهذان الحديثان ضعيفان، لكن الشواهد يعتبر فيها بالضعيف كما نبه عليه الحافظ المنذري في غير موضع من الترغيب والترهيب، والحافظ ابن القيم في جلاء الأفهام، بل هو مقرر في علوم الحديث.

القرآن يؤيد الحديث

قال الله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] أخبر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أن النبي عليه الصلاة والسلام يأتي يوم القيامة شهيداً على أمته، وذلك يقتضي أن تعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعلم، قال ابن المبارك: أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبي ﷺ أمته غدوة وعشيًا فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١]. وقال القرطبي في التذكرة: باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على أمته، ثم أورد أثر سعيد بن المسيب السابق آنفًا. ثم قال: قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس وأنها تعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة قال: ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام اهـ. وروى الطبراني بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقد كان أمر عليا ومعاذاً أن يسيرا إلى اليمن فقال: (انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا) فإنه قد نزل علي (يأيها النبي إنا أرسلناك للناس شاهداً ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار وداعيًا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجًا منيرا). «بالقرآن» وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قوله تعالى شاهداً أي لله بالوحدانية وأنه لا إله إلا غيره، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة، وجئنا بك على هؤلاء

شهيداً. كقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً اهـ.

فإن قيل: قد أخبر الله تعالى عن هذه الأمة أنها تشهد على غيرها، حيث قال جل شأنه: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] اهـ ولم يقل أحد إن أعمال الأمم تعرض على هذه الأمة.

فالجواب من وجهين:

(الأول) أن عرض الأعمال مما خص به نبينا عليه الصلاة والسلام، كما خص فى قبره بحياة أكمل من حياة الشهداء وبالشفاعة وغيرهما.

(والثانى) أنه ورد فى الحديث الصحيح أن هذه الأمة إنما تشهد على إخبار نبيها وما جاء به فى القرآن، وذلك أنها إذا شهدت بأن الرسل بلغوا أممهم فيقال: وما علمكم؟ فيقولون أخبرنا نبينا فيما جاء به من كتاب ربنا أن الرسل قد بلغوا فآمنا به وصدقنا(١). فيزكيهم الرسول ويصدق قولهم، هذا معنى ما ثبت فى الحديث، وهو واضح لا خفاء فيه.

فإن قيل: فما تقول فيما رواه الطبراني عن محمد بن فضالة أن النبى ﷺ أمر قارئًا يقرأ فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] الآية بكى حتى اضطرب لحياه وقال: (أى رب شهدت على من أنا بين ظهرانيه فكيف بمن لم أر؟) فربما يفهم بعض الجهلة من هذا أنه ينفى عرض الأعمال.

قلت: هذا الحديث مؤيد لعرض الأعمال لا ناف له وهو أحد الأسباب التى لأجلها أكرم الله نبيه بهذه الخصوصية حتى تكون شهادته على أمته عن مشاهدة وعيان، كما أكرمه بعرض أمته مع الأمم الأخرى عليه وهو فى المدينة كما ثبت فى الصحيحين، وقال الحافظ فى فتح البارى (ج٩ ص٧٨-٧٩ طبعة الخشاب) ما نصه: ووقع فى رواية محمد بن فضالة الظفرى أن ذلك كان وهو ﷺ فى بنى ظفر أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى وغيرهما من طريق يونس بن مُحمد بن فضالة عن أبيه أن النبى ﷺ أتاهم فى بنى ظفر ومعه ابن مسعود وناس من أصحابه فأمر قارئًا يقرأ فأتى على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] فبكى حتى اضطرب لحياه

---

(١) فشهادة الأمة من قبيل الإرعاء المعروف فى كتب الفقه وهو الشهادة على الشهادة.

ووجنتاه وقال: «يارب هذا على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره»؟ وأخرج ابن المبارك في الزهد من طريق سعيد بن المسيب قال: «ليس من يوم إلا يعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم» ففي هذا المرسل ما يرفع الأشكال الذي تضمنه حديث ابن فضالة والله أعلم اهـ كلامه. وحاصل الأشكال أنه كيف يشهد على من يأتي بعده من أمته؟ وحاصل رفعه أن أعمالهم تعرض عليه فيشهد عليها شهادة عيان، وجعل الحافظ أثر سعيد بن المسيب مرسلاً لأنه لا دخل للرأي والاجتهاد فيه؛ فيكون من قبيل المحكوم برفعه فلذلك سماه مرسلاً؛ ومراسيل سعيد بن المسيب من أصح المراسيل وأقواها؛ حتى أن الشافعي قبلها مع رده لغيرها من المراسيل، والله أعلم.

حديث الحوض يؤيد حديث عرض الأعمال

أخرج أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه؟ بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني يأيها الناس فرطكم على الحوض فإذا جئتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان وقال آخر أنا فلان بن فلان فأقول فأما النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى» قال الحافظ الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد بن عقيل وقد وثق اهـ. قلت حديثه حسن كما صرح به الحافظ الهيثمي نفسه في مواضع من مجمع الزوائد. فقوله ﷺ ولكنكم أحدثتم بعدي دليل على أن أعمالهم عرضت عليه وإلا لما عرف ذلك منهم.

عرض الأعمال على الأقارب

يؤيد حديث عرض الأعمال

قال ابن أبي الدنيا في أول كتاب المنامات: حدثنا عبد الله بن شبيب ثنا أبو بكر بن شيبة الحزامي ثنا فليح بن إسماعيل حدثني محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عمن سمع أنسا يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً استبشروا

وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا».

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار عن الحسن بن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك» وقال يحيى بن صالح الوحاظي: حدثنا أبو إسماعيل السكوني سمعت مالك بن أدى يقول: سمعت النعمان بن بشير وهو على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في إخوانكم أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم) وهذه الأحاديث[١] وإن كانت ضعيفة فإن الآثار عن الصحابة والتابعين تؤيدها وتقضي بأن لها أصلاً. قال عبد الله بن المبارك: حدثني ثور بن يزيد عن أبي رهم[٢] عن أبي أيوب قال: تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها عليه وإن رأوا سيئاً قالوا اللهم راجع به. وقال ابن المبارك أيضاً: حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير أن أبا الدرداء كان يقول: إن أعمالكم تعرض على أمواتكم فيسرون ويساءون، وكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة. وروى بن أبي الدنيا من طريق بلال بن أبي الدرداء قال: كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجد يقول: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي ابن رواحة إذا لقيته. وقال أحمد بن أبي الحوارى حدثني محمد أخي قال: دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن صالح وهو أمير على فلسطين، فقال له عظني، فقال بم أعظك أصلحك الله؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ماذا يعرض على رسول الله ﷺ من عملك؟ فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه على لحيته. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. وروى ابن المبارك بسنده أن سعيد بن جبير سئل: هل يأتي الموتى أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيراً سر به، وإن كان شراً ابتأس وحزن، قال ابن القيم في كتاب الروح: وصح عن عمرو بن دينار أنه قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم

(١) وقعت أسانيد هذه الأحاديث في كتاب أهوال القبور مصحفة غاية التصحيف انظرها فيه (ص٧٧-٧٨).

(٢) رهم بضم الراء واسم أبي رهم أحزاب بن أسيد، مختلف في صحبته ووقع في كتاب الروح (ص٨ طبعة ثانية) إبراهيم وهو تصحيف.

ما يكون فى أهله من بعده، وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم. وصح عن مجاهد أنه قال: إن الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده اهـ. وقال أيضًا: وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة، وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله بن رواحة يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عمل أخزى به عند عبد الله بن رواحة اهـ. والآثار فى هذا كثيرة يطول تتبعها، وليس الغرض استقصاءها فى هذا الموضع، وهى كما قدمنا تقوى الأحاديث السابقة؛ لأن عرض الأعمال على الأقارب من المغيبات التى لا تدرك بالرأى والاجتهاد؛ فلولا أنه بلغهم فيه حديث عن النبى ﷺ ما أخبروا به ولا تناقلوه فى مجالس الوعظ والتذكير. وإذا كانت أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى لما بينهم من القرابة التى تدعو إلى الشفقة وحب الخير، فالنبى ﷺ أولى بأن تعرض عليه أعمال أمته لمزيد شفقته عليهم ورحمته بهم وحرصه على إيصال الخير لهم بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ولما ذكر ابن رجب جملة من الأحاديث والآثار فى عرض أعمال الأحياء على الأموات قال ما نصه: وقد جاء عرض أعمال الأمة كلها على رسول الله ﷺ بمنزلة الوالد. ثم ذكر حديث ابن مسعود(١) السابق أول الباب، وذكر بعض ما يشهد له. وهذا النص غير موجود فى كتاب أهوال القبور المطبوع بمكة، فلا أدرى أسقط سهواً أم قصد إسقاطه؟

الصلاة على النبى تعرض عليه
وهى من جملة الأعمال

أخرج أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى صحاحهم والبيهقى فى حياة الأنبياء وشعب الإيمان وغيرهم من طريق حسين بن على الجعفى ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ «أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ» قالوا وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمَت يقولون بليت؟ فقال «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» قال الحاكم صحيح على شرط البخارى وسلمه الذهبى وصححه أيضًا ابن خزيمة

(١) ذكره بإسناده نقلاً عن البزار أيضًا «ص٧٩» أهوال القبور لكن جاء الحديث غير ملائم لما قبله من الكلام لسقوط النص الذى نقلناه عن نسخة خطية من كتاب الأهوال المذكور. كتبت سنة ١١١٣ هجرية.

وابن حبان والحافظ عبدالغنى بن سعيد والنووى فى الأذكار والقرطبى فى التذكرة والحافظ أبو الخطاب بن دحية وغيرهم، وبعضهم أعل الحديث بأنه من رواية عبدالرحمن ابن يزيد بن تميم الضعيف ولكن حسين الجعفى اشتبه عليه الأمر فجعله من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الثقة، وهذا إعلال باطل بيّن بطلانه الحافظ الدارقطنى[١] وذكر أن حسينا الجعفى روى الحديث عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر تحقيقاً من غير اشتباه، قال الحافظ ابن عبدالهادى المقدسى فى الصارم المنكى (ص ١٨٤) : وهذا الذى قاله الحافظ أبو الحسن هو أقرب وأشبه بالصواب وهو أن الجعفى روى عن ابن جابر ولم يرو عن ابن تميم، والذى يروى عن ابن تميم ويغلط فى اسم جده هو أبو أسامة كما قاله الأكثرون، فعلى هذا يكون الحديث الذى رواه حسين الجعفى عن ابن جابر عن أبى الأشعث عن أوس حديثاً صحيحاً لأن رواته كلهم مشهورون بالصدق والأمانة والثقة والعدالة ولذلك صححه جماعة من الحفاظ كأبى حاتم ابن حبان والحافظ عبدالغنى المقدسى وابن دحية وغيرهم، ولم يأت من تكلم فيه وعلله بحجة بينة أ هـ ثم ناقش كلام من علله بما يكفى فراجعه، وأخرج ابن ماجة عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «أكثروا الصلاة علىّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلى علىّ إلا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها» قال قلت: وبعد الموت؟ قال «وبعد الموت أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق» وهكذا رواه ابن وهب فى جامعه. قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب: إسناده جيد. وكذا قال العلامة السيد السمهودى فى وفاء الوفا. وقال الحافظ فى تهذيب التهذيب: رجاله ثقات لكن أشار إلى انقطاع فيه، وكذا فعل تلميذه الحافظ السخاوى فى القول البديع وصححه الحافظ البوصيرى مع الإشارة إلى انقطاعه أيضاً وقال الحافظ ابن عبدالهادى المقدسى فى الصارم المنكى (١٨٨): وهذا الحديث وإن كان فيه شىء فهو شاهد لغيره وعاضد له أ هـ.

قلت: لا شىء فيه غير الانقطاع المشار إليه وأمره قريب أما محاولته تضعيف السند بجهالة حال زيد بن أيمن فمردودة بتوثيق ابن حبان له، وبتصحيح الحفاظ المذكورين وبالأخص المنذرى والعسقلانى. وأخرج أبو داود والنسائى والبيهقى فى حياة الأنبياء

(١) فى حواشيه على كتاب أبى حاتم الرازى فى الضعفاء، وكان الدارقطنى إماماً لا يجارى فى معرفة العلل والأسانيد والرجال. قال القاضى أبو الطيب الطبرى: الدارقطنى أمير المؤمنين فى الحديث.

وابن نفيل فى جزئه المعروف من طريق عبد الله بن نافع عن ابن أبى ذئب عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم» رجاله ثقات ونقل ابن عبدالهادى فى الصارم المنكى (ص ١٧٤) عن ابن تيمية أن إسناده حسن وأيده بما يعلم من مراجعته هناك وصححه النووى فى الأذكار ولابن أبى شيبة وابن مردويه عن أبى هريرة أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنها معروضة علىّ» وأخرج أبو الشيخ فى كتاب الثواب من طريق أبى معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علىّ عند قبرى سمعته ومن صلى علىّ من بعيد أعلمته» قال ابن القيم: غريب، لكن نقل الحافظ السخاوى عن شيخه الحافظ ابن حجر أنه قال: سنده جيد أ هـ وللطبرانى فى الأوسط عنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الأغر فإن صلاتكم تعرض علىّ» سنده ضعيف قال السخاوى: لكن يتقوى بشواهده أ هـ.

وأخرج عبدالرازق عن مجاهد عن أبى طلحة قال: دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوجدته مسروراً؛ فقلت: يا رسول الله ما أدرى متى رأيتك أحسن بشراً وأطيب نفساً من اليوم؟ قال: «وما يمنعنى وجبريل خرج من عندى الساعة فبشرنى أن لكل عبد صلى علىّ يكتب له بها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات ويرفع له بها عشر درجات وتعرض علىّ كما قالها ويرد عليه بمثل ما دعا» وأخرج الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب وحياة الأنبياء من طريق أبى رافع عن سعيد المقبرى عن أبى مسعود الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أكثروا الصلاة علىّ فى يوم الجمعة فإنه ليس يصلى على أحد يوم الجمعة إلا عرضت علىّ صلاته» أبو رافع إسماعيل بن رافع المدنى ضعيف عند الجمهور لكن وثقه البخارى وقال يعقوب بن سفيان يصلح حديثه للشواهد والمتابعات وقال ابن المبارك لم يكن به بأس ولعل الحاكم اعتمد هذا فصحح الحديث والله أعلم، وأخرج البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن برد بن سنان عن مكحول الشامى عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (أكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة) قال الحافظ المنذرى: إسناده حسن إلا أن

مكحولاً قيل لم يسمع من أبى أمامة أ هـ. وفى الصارم المنكى (ص ١٨٩) : إسناده جيد فيه إرسال فإن مكحولاً لم يسمع أبى أمامة، وقال الحافظ السخاوى فى القول البديع : رواه البيهقى - يعنى الحديث المذكور - بسند حسن لا بأس به إلا أن مكحولاً قيل لم يسمع من أبى أمامة فى قول الجمهور. نعم فى مسند الشاميين للطبرانى التصريح بسماعه منه أ هـ.

ورجح المزى فى التهذيب سماعه من أبى أمامة أيضاً. فالسند على هذا متصل حسن وللطبرانى بإسناد ضعيف عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : « من صلى علىّ صلى الله عليه عشراً. ملك موكل بها حتى يبلغنيها » . وقال محمد بن إسماعيل الوراق : حدثنا جبارة بن المغلس ثنا أبو إسحاق حازم عن يزيد الرقاشى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض علىّ » قال ابن القيم : وهذا وإن كان ضعيفاً يصلح للاستشهاد وروى الطبرانى فى الأوسط عن أنس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : « من صلى علىّ صلاة واحدة بلغتنى صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات » . قال الحافظ المنذرى : إسناده لا بأس به أ هـ.

وأخرج أبو يعلى فى مسنده من طريق عبدالله بن نافع أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن قال سمعت الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام يقول: قال رسول الله ﷺ : « صلوا فى بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً ولا تتخذوا بيتى عيداً صلوا على وسلموا فإن صلاتكم وسلامكم يبلغنى أين ما كنتم » وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط من طريق حميد بن أبى زينب عن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « حيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى » قال الحافظ المنذرى : إسناده حسن. وقال القاضى أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل المحاملى : ثنا أبو حاتم الرازى ثنا ابن أبى مريم ثنا محمد بن جعفر حدثنى حميد بن أبى جعفر عن الحسن ابن علىّ عليهما السلام عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « حيثما كنتم فصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى » وقال ابن أبى شيبة فى المصنف حدثنا أبو خالد الأحمر عن ابن عجلان عن سهل عن حسن بن حسن قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تتخذوا فبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » . إسناده صحيح وهو مرسل فى حكم الموصول كما لا يخفى لأنه تقدم من رواية الحسن وعلىّ عليهما السلام، وقال أبو يعلى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا زيد بن الحباب ثنا جعفر بن إبراهيم من

ولد ذى الجناحين ثنا على بن الحسين أنه رأى رجلا يأتى إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها ويدعو، فقال له ألا أحدثك حديثاً عن أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وسلموا على فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم». قال الحافظ السخاوى فى القول البديع: وهو حديث حسن.

قلت: بل أخرجه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسى فيما اختاره من الأحاديث الصحيحة الزائدة على الصحيحين، قال الحافظ ابن عبدالهادى فى الصارم المنكى: وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم، وأخرج أبو الشيخ والبزار والطبرانى والحارث بن أبى أسامة وغيرهم من طريق نعيم بن ضمضم عن ابن الحميرى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه أسماء الخلائق فهو قائم على قبرى إذا مت فليس أحد يصلى على إلا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان قال فيصلى الرب تبارك وتعالى علىّ ذلك الرجل بكل واحدة عشراً».

نعيم بن ضمضم قال المنذرى فيه خلاف، وقال الذهبى: ضعفه بعضهم، وقال الحافظ(١) فى اللسان: ما عرفت إلى الآن من ضعفه، وابن الحميرى اسمه عمران. لينه البخارى وقال لا يتابع على حديثه وذكره ابن حبان فى الثقات، وبقية رجال الحديث رجال الصحيح كما قال الحافظ الهيثمى، وأخرج أحمد والنسائى والدارمى وأبو نعيم والبيهقى والخلعى وغيرهم عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام» صححه ابن حبان والحاكم.

وروى ابن عدى من حديث ابن عباس مثله. وقال الديلمى فى مسند الفردوس انبأنا والدى أنا أبو الفضل الكرابيسى أنبأنا أبو العباس بن تركان حدثنا موسى بن سعيد ثنا أحمد بن حماد بن سفيان حدثنى محمد بن عبدالله بن صالح المروزى ثنا بكر بن خداش عن فطر بن خليفة عن أبى الطفيل عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا الصلاة على فإن الله وكل بى ملكا عند قبرى فإذا صلى علىّ رجل من أمتى قال لى ذلك الملك يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة» فى سنده ضعف كما قال الحافظ السخاوى وأخرج الحافظ ابن بشكوال بسند ضعيف كما

(١) لفظ الحافظ أو شيخ الإسلام إذا أطلق فإنه ينصرف فى عرف المحدثين إلى الحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب فتح البارى وتهذيب التهذيب ولسان الميزان وغيرها من الكتب القيمة النفيسة، كان أعجوبة فى الحفظ وسعة الاطلاع ومعرفة العلل والرجال؛ حتى سمى أمير المؤمنين فى الحديث. فالعجب ممن =

قال الحافظ السخاوى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الأغر فإن صلاتكم تعرض علىّ فأدعو لكم وأستغفر» الليلة الزهراء ليلة الجمعة واليوم الأغر يومها، وأخرج ابن راهويه والحرفى وابن بشران والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (ليس أحد من أمة محمد ﷺ يصلى عليه صلاة إلا وهى تبلغه يقول له الملك فلان يصلى عليك كذا وكذا صلاة) إسناده صحيح، وهو موقوف له حكم المرفوع لأنه لا يعلم بالرأى والاجتهاد.

يترك الناس بأبى قرصافة الصحابى

وقال الحافظ أبو عبدالله المقدسى فى المختارة أنبأنا أبو عبدالله محمد بن معمر بأصبهان أن جعفر بن عبدالواحد أخبرهم إجازة أنبأنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الهمدانى أنبأنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن حيان - هو أبو الشيخ - حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا آدم بن أبى أياس ثنا محمد بن نشر ثنا محمد بن عامر ثنا أبو قرصافة(١) جندرة - وكان لأبى قرصافة صحبة؛ وكان النبى ﷺ قد كساه برنسا، وكان الناس يأتونه فيدعو لهم ويبارك فيهم فتعرف البركة فيهم؛ وكان لأبى قرصافة ابن فى بلاد الروم غازيا، وكان أبو قرصافة إذا أصبح فى السحر بعسقلان نادى بأعلى صوته يا قرصافة الصلاة؛ فيقول قرصافة من بلاد الروم: لبيك يا أبتاه؛ فيقول أصحابه ويحك لمن تنادى فيقول لأبى ورب الكعبة يوقظنى للصلاة - قال أبو قرصافة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أوى إلى فراشه ثم قرأ سورة تبارك ثم قال: اللهم رب الحل والحرام ورب البلد الحرام ورب الركن والمقام ورب المشعر الحرام وبحق كل آية أنزلتها فى شهر رمضان بلغ روح محمد منى تحية وسلاما. أربع مرات وكل الله به ملكين حتى يأتيا محمداً فيقولان له ذلك. فيقول - ﷺ - وعلى فلان ابن فلان منى السلام ورحمة الله وبركاته» قال الحافظ المقدسى: لا أعرف هذا الحديث إلا بهذا الطريق وهو غريب جداً وفى رواته من فيه بعض المقال أ هـ. وقال ابن القيم: إنه معروف من قول أبى جعفر الباقر وهذا أشبه أ

= يحاول الغض من رتبته!! أو إلحاق بعض متأخرى الحنفية بمنزلته!! وأعجب من هذا أن يتخذ من لقبى البدر والشهاب حجة على تفاوت صاحبيهما فى العلم!! ومتى كانت الألقاب دليلاً على علم صاحبها وفضله؟!

(١) قرصافة: بكسر القاف وسكون الراء. وجندرة: بفتح الجيم والدال بينهما نون ساكنة فهو أبو قرصافة جندرة بن خيشنة بفتح الخاء والشين. الكنانى صحابى قال ابن حبان: قبره بعسقلان.

هـ. ومثله لا يدرك بالرأى والاجتهاد. فله حكم المرفوع. وقال سعيد بن منصور فى سننه: حدثنا حبان بن على حدثنى محمد بن عجلان عن أبى سعيد مولى المهرى قال: قال رسول الله ﷺ «لا تتخذوا بيتى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى» وقال إسماعيل القاضى: حدثنا سالم بن سليمان الضبى ثنا أبو حرة عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ (أكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإنها تعرض على) وروى أيضاً عن إبراهيم بن الحجاج ثنا وهيب عن أيوب قال بلغنى والله أعلم أن ملكا موكل بكل من صلى على النبى ﷺ حتى يبلغه النبى ﷺ، وقال القاضى إسماعيل أيضاً حدثنا عبدالرحمن بن واقد العطار ثنا هشيم ثنا حصين بن عبدالرحمن عن يزيد الرقاشى قال: إن ملكا موكل يوم الجمعة بمن صلى على النبى ﷺ يبلغ النبى ﷺ يقول إن فلانا من أمتك يصلى عليك، ورواه سعيد بن منصور فى سننه وبقى بن مخلد ومن طريقه ابن بشكوال لكن بدون ذكر يوم الجمعة، وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن خالد بن معدان عن النبى ﷺ قال «أكثروا الصلاة على فى كل يوم جمعة فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة» وأخرج النميرى عن حماد الكوفى قال: إن العبد إذا صلى على النبى ﷺ عرض عليه باسمه، فتحصل من هذه الأحاديث والآثار - وعددها يزيد على خمسة عشر - أن صلاتنا وسلامنا على النبى ﷺ يعرضان عليه.

حديث حياتى لكم صحيح على شرط مسلم

وهما لا شك من جملة أعمال الأمة التى تعرض عليه، فكيف يسوغ إنكار حديث «حياتى خير لكم» مع وجود هذه الشواهد التى تؤيده وتقويه؟ فإنه لو كان ضعيفاً لارتفع بها إلى درجة القبول، كيف وهو وحده - بصرف النظر عن شواهده - صحيح على شرط مسلم كما قدمنا؟ وأيضاً فقد قرر علماء الأصول والحديث أن الحديث المرسل إذا ورد من طريق آخر موصول ضعيف كان مجموعهما صحيحاً تقوم به الحجة ويلزم العمل به فإذا صرفنا النظر عن طريق ابن مسعود الصحيح وأخذنا مرسل بكر المزنى وضممناه إلى حديثى أنس الضعيفين كان الحديث صحيحاً أيضاً هذا إن مشينا على قول الجمهور أن المرسل ضعيف لا يعمل به إلا إذا ورد ما يؤيده كما سبق، أما إن ذهبنا إلى قول المالكية والحنفية الذين يرون المرسل وحده صحيحاً يعمل به وحكاه عنهم العراقى فى الألفية بقوله:

واحـــتج مــالك كـــذا النعـــمـــان   بـه وتـابعـــــوهـمـــــا ودانـوا

المرسل حجة عند المالكية والحنفية

فمرسل بكر المزني وحده يكون صحيحاً تلزم به الحجة لأن له إسنادين صحح أحدهما الحافظ ابن عبدالهادى وهو أشد الناس تعنتاً فى هذا الباب. والعجيب فى الأمر أنه صححه فى كتاب ألفه في الرد على السبكى انتصاراً لابن تيمية!! وقد نقلنا تصحيحه فيما سبق، والمقصود أن الحديث صحيح على جميع الاصطلاحات المقررة. وإنى أتحدى من ينكره دفعاً بالصدر، واستكباراً عن قبول الحق، أن يأتي بما يقتضى وضعه من القواعد الحديثية أو الأصولية فإنه لن يجد إلى ذلك سبيلاً متي التزم طريق البحث العلمي. ونهج نهج الحق والإنصاف. أما الكذب فى النصوص، وتحريف النقول، ورمى الخصوم بالعظام، ونبذهم بالشتائم، فأمر لا يعجز عنه أحد، وأبرع الناس فى هذا الميدان - ميدان السفاهة والشتم - أكثرهم جهلا، وأبعدهم عن الأخلاق الفاضلة، فليقل الخصوم عنا ما شاءوا، وليسودا صحيفتهم بما أرادوا، فإننا لن نجاريهم فى مضمارهم الذى برعوا فيه، ولن نحيد عن مطالبتهم بأمر واحد فقط هو: أن يبينوا وضع الحديث بطريق علمى صحيح، فذلك ما لا يقدرون عليه، ولا يصلون بحمد الله إليه، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

باب
فى دفع ما أورد على الحديث
وقيم تعبيرات الوهابية فى حق النبى ﷺ

اعترض على هذا الحديث أعداؤه بعدة اعتراضات سمعناها من بعضهم فى عدة مجالس، وقرأناها أخيراً فى صحيفتهم فلم نزد فى كلتا الحالتين على أن ابتسمنا منها، ورثينا لحالهم، إذ وجدنا تلك الاعتراضات أشبه شيء بما يخلط به المحموم حين تعركه الحمى، وتشتد وطأتها عليه، لكنا مع هذا لا نغمط القوم حقهم، فقد وجدنا لهم اعتراضاً واحداً يتمشى مع قواعد البحث ويدخل فى باب التعارض فأفردنا هذا الباب للكلام عليه؛ وتجليه ما غمض منه على كثير من الناس، وبيان ذلك أنهم ذكروا حديث الحوض وحاصله على ما فى الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: « يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابى فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابى فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدوا على أعقابهم القهقرى » زاد فى رواية فأقول: « سحقاً لمن بدل بعدى. سحقاً لمن بدل بعدى » هذا حاصل حديث الحوض وله ألفاظ وطرق فى الصحيحين، وهو لعمر الله أقوى اعتراض لديهم بل ليس لهم فى الحقيقة غيره وقد قرروه بقولهم: إذا (جهل) حال أصحابه الذين عرفوه وعرفهم فغيرهم من باب أولى، فكيف تزعمون أن أعمال أمته تعرض عليه؟! وقد آثرت نقل كلام أحدهم – وهو واعظ بالأزهر – بلفظه ليرى القارئ كيف ينسبون إلى النبى ﷺ ألفاظاً فى غاية القبح وسوء الأدب؟ فقد كان فى إمكان هذا الواعظ أن يعبر بقوله: إذا كان لا يعلم حال أصحابه إلخ ويكون بذلك متأدباً مع النبى ﷺ: وموافقاً لعبارة الحديث الذى استدل به لكنه آثر لفظ (جهل) بالذات فما يفهم القارئ من هذا؟! ونظيره قول بعضهم: إن حديث الحوض يضرب حديث (حياتى خير لكم) بالحذاء. فانظر إلى أدبهم فى المناقشة العلمية ثم احكم عليهم بعد بما تشاء! وحديث الحوض صحيح كما قلنا ولو أردنا أن نكون مراوغين مشاغبين مثلهم. لرددناه رغم صحته ولنا فى ذلك وجهة[1] قويمة سليمة، لكن

---

(١) بيناها آخر الباب.

معاذ الله أن نراوغ ونغالط بل نجيب عن الحديث حسب القواعد المقررة، ونمهد لذلك بمقدمة وجيزة فنقول:

الجمع بين الدليلتي المتعارضين واجب

مما علم لمن درس شيئاً من علوم الحديث والأصول أن الدليلين إذا تعارضا نظر الباحث المستدل أولاً هل يمكن الجمع بينهما فإذا أمكنه أن يجمع بينهما وجب المصير إلى ذلك لأن فيه عملاً بالدليلين، واتباعاً لهما جميعاً، ولا يصح فى هذه الحالة ترجيح أحدهما على الآخر لأن فى ذلك إهمالاً لأحد الدليلين، وإلغاء له، وهو لا يجوز فإن تعذر الجمع بين الدليلين، ولم يمكن بوجه من الوجوه انتقل حينئذ إلى الترجيح فيقدم أقواهما على غيره، فإن تساويا فى القوة - ولم يكن أحدهما ناسخاً للآخر - تركا وانتقل إلى دليل آخر غيرهما. هذا أمر معروف لكل باحث ودارس، وعليه استقر عمل العلماء من الصحابة والتابعين وغيرهم، ألا ترى إلى أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- كيف امتنع من إعطاء فاطمة -عليها السلام- ميراثها من رسول الله ﷺ مع استدلالها بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] لأنه خصصه بقوله ﷺ «لا نورث ما تركناه صدقة» كما جاء فى الصحيحين.

فالصديق -رضى الله عنه- حرص على الجمع بين الدليلين كما ترى حيث خصص القرآن بالحديث، وقد كان يمكنه أن يأخذ بالقرآن فقط ويترك ما سواه كما هو رأى مبتدعة اليوم، لكن إلغاء دليل صحيح بغير مسوغ شرعى حرام.

وأمثلة هذا كثيرة يطول تتبعها وهى مبسوطة فى كتب الحديث والأصول وإنما أوردنا هذا المثال لتوضيح ما أشرنا إليه، إذا تمهد هذا فنقول: ليس بين حديث الحوض وحديث عرض الأعمال تعارض ولا تناقض البتة، وبيان ذلك من وجوه.

الجواب عن حديث الحوض بأربعة وجوه

«الوجه الأول» - أن حديث الحوض ورد فى المرتدين فقد ذكر البخارى عن قبيصة فى الذين يجلون عن الحوض قال: (هم الذين ارتدوا على عهد أبى بكر فقاتلهم) وقال الحافظ فى الفتح على قوله (إنهم ارتدوا على أعقابهم) ما نصه هذا يوافق تفسير قبيصة الماضى فى باب كيف الحشر أ هـ. ولا شك أن المرتدين لا تعرض أعمالهم عليه ﷺ

لانقطاع الصلة بينهم وبينه بالكفر والعياذ بالله تعالى، فحين دعاهم وقال يارب أصحابى، ظن أنهم لا زالوا على ما فارقهم عليه، فأخبره الله أنهم ارتدوا بعدك، وانقطعت صلتهم بك، أما حديث عرض الأعمال فهو وارد فى المؤمنين من أمته لأن الاستغفار لا يجوز لغيرهم كما جاء فى القرآن الكريم.

«الوجه الثانى» - أن حديث الحوض خاص وحديث عرض الأعمال عام فيكون أولهما مخصصاً لثانيهما وبيان ذلك أن الحديث الأول يخبر أن طائفة من الأمة تجلى عن الحوض وتذاد عنه. والثانى يفيد أن أعمال الأمة تعرض على النبى ﷺ فى قبره فيخصص هذا بالأول ويصير المعنى: أن أعمال الأمة كلها تعرض على نبيها ﷺ إلا أعمال طائفة منهم لم تعرض عليه لأن الله أراد نفوذ الوعيد فيهم فإذا دعاهم النبى ﷺ إلى حوضه قيل له: لا تدرى ما أحدثوا بعدك لأن أعمالهم لم تعرض فى جملة ما عرض عليك، وهكذا الشأن فى كل عام وخاص إذا اجتمعا أن يخصص العام بالخاص. فيتفق الدليلان، وإنما كان حديث الحوض خاصاً لأمرين «الأول» أنه جاء فى رواياته ليذادن رجال. أناس. أقوام. رهط. وهذه جموع منكرة واقعة فى سياق الإثبات، والقاعدة الأصولية: أن الجمع المنكر الواقع فى سياق الإثبات ليس بعام، «الثانى»: أننا ندرك بالضرورة أنه ليس كل الأمة يذادون عن الحوض وإنما تذاد طائفة منهم فقط، وهذا هو معنى الخصوص، أما حديث عرض الأعمال فإنما كان عاماً لأن أعمالكم فى قوله: (تعرض على أعمالكم). جمع مضاف، والقاعدة الأصولية، أن الجمع المضاف من صيغ العموم الموضوعة له حقيقة.

«الوجه الثالث» - أن عرض الأعمال على سبيل الإجمال والاستغفار كذلك على سبيل الإجمال، بأن يقال له: فعلت أمتك كذا وكذا من الطاعات واقترفت كيت وكيت من المعاصى، فيحمد الله على فعل الطاعات ويستغفره عن معاصيهم كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]

أما قوله فى حديث الحوض (لا تدرى ما أحدثوا بعدك) فمعناه: لا تدرى ما أحدثوه على التفصيل بالنسبة لكل فرد فرد، وإنما تدريه إجمالاً، ومما يقرب هذا ويوضحه: أن الواحد منا يعلم أحوال العالم إجمالاً بما يقرأه فى الجرائد والمجلات وبما يسمعه فى محطات الإذاعة من جميع البقاع، لكنه لا يعلم الحال تفصيلاً بالنسبة إلى كل فرد وإلى

كل بلد، كذلك يقول الواحد منا: اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ، وليس معنى ذلك أن الدعاء بالمغفرة توجه إلى كل فرد على حدته، وهذا فى غاية الوضوح.

«الوجه الرابع» - أن حديث عرض الأعمال يفيد أنه يعرف الأعمال نفسها من طاعات ومعاصى ويعرف أنها منسوبة إلى أمته لكن لا يعرف أن هذا عمل فلان وهذا عمل فلان إذ لا يلزم من معرفة العمل معرفة صاحبه. وحديث الحوض يفيد أنه لا يعرف تلك الطائفة التى ذيدت هل هى من الصالحين أو غيرهم. ولاينافى أنه يعلم أن أمته جاءت بأعمال صالحة وأعمال سيئة حسبما عرضت عليه، يقرب ذاك ويوضحه أن الشخص قد يرى فى بعض الجرائد مثلاً أعمالاً صالحة من صدقات، وتبرعات غير منسوبة إلى أشخاص معينين فيحب تلك الأعمال ويثنى على أصحابها، وقد يكون فى مجلسه بعض منهم أو كلهم وهو لا يدرى أنهم أصحاب تلك الأعمال التى يمدحها. وقل مثل ذلك فى الأعمال السيئة، فيصدق عليه أنه لم يعرف ما فعلوا لأنه رأى الأعمال مجردة عن نسبتها إليهم بالذات. فالنبى ﷺ حين دعا أولئك الرهط إلى حوضه فاختلجوا دونه وقيل له: لاتدرى ما أحدثوا بعدك، أى من السيئات التى عرضت عليك ولم تعلم أنها صادرة منهم. وبهذه الوجوه بل بواحد منها اندفع الإشكال ولم يبق بين الحديثين تعارض أصلا. فمن أصر بعد هذا على وجود التعارض وعلى ترجيح حديث الحوض فهو معاند مكابر ينطبق عليه قوله ﷺ «الكبر بطر الحق وغمط الناس» ومن وصل إلى هذا الحد سقط معه الكلام. وتوجهت إليه سهام الملام

«تنبيه» لما تكلم الحافظ في فتح البارى على حديث الحوض وقع فى كلامه مايشير إلى صحة حديث عرض الأعمال وكونه أمراً ثابتاً متقرراً. ونص كلامه: وقال غيره قيل هو - يعنى الارتداد- على ظاهره من الكفر والمراد بأمتى أمة الدعوة لا أمة الإجابة ورجح بقوله فى حديث أبى هريرة فأقول بعداً لهم وسحقاً. ويؤيده كونهم خفى عليه حالهم ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم بكون أعمالهم تعرض عليه أ هـ كلامه، والإشارة فيه إلى ما قلنا ظاهرة، والله ولىّ التوفيق.

- الاستكمالات التى ترد على حديث الحوض

- حديث الحنوض بعارضة القرآن والإجماع

«تنبيه آخر» بعد أن ذكرت الجمع بين الحديثين بالوجوه السابقة وهى قوية سليمة وإن

كان بعضها أقوى من بعض. ظهر لى أن أبين الإشكال الوارد على حديث الحوض فأقول: هذا الحديث يفيد أن طائفة من الصحابة يذادون عن الحوض ويطردون عنه، مع أن الله تعالى عدل الصحابة وأثنى عليهم فى غير آية من كتابه الكريم، والجمهور مجمعون على عدالتهم جميعاً حتى المجهولين منهم، فكيف يتأتى هذا مع طرد طائفة منهم عن الحوض؟! فإن حملنا الحديث على المرتدين كما رجحه الباجى وعياض وغيرهما فالخطابى يجزم بأن الصحابة لم يرتد منهم أحد بعده ﷺ، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له فى الإسلام، وإن حملناه على المنافقين فالنفاق كان على عهده ﷺ والحديث يقول «لاتدرى ما أحدثوا بعدك»، وإن حمناه على المبتدعة فالمبتدعة ليسوا أصحابه لأنهم حدثوا بعده. وإن حملناه على من حارب عليا –عليه السلام– فى صفين فجمهور الأشاعرة والماتريدية لايرضون هذا ويرون أن أولئك المحاربين كانوا مجتهدين مخطئين وإن حملناه على أمة الدعوة أو العصاة من أمة الاجابة فإن ألفاظ الحديث تنفى ذلك لأنها تصرح بأنهم أصحابه يعرفهم ويعرفونه وأنه يناديهم بأسمائهم، ثم كيف يتبرأ من أصحابه ويقول فى حقهم[1] (سحقاً سحقاً) وهو ﷺ لا يتبرأ من عصاة المسلمين بل يشفع لهم ويسعى فى خلاصهم بعد دخولهم النار؟!

فالحديث كما ترى مشكل جداً[2] وكان واجبا على الذين عارضوا به حديث عرض الأعمال ورجحوه عليه أن يتفهموا أولا معناه ويتذوقوه، ثم يجمعوا بينه وبين مادل عليه القرآن وأجمع عليه الجمهور من عدالة الصحابة وفضيلتهم عند الله تعالى. فإذا استقام لهم ذلك ووفقوا إليه عارضوا به حينئذ ما شاؤوا من الأحاديث ولكنهم لايفقهون.

---

(١) ومن الإشكال فى هذا الحديث أيضاً أنه يقتضى الا نترضى عن جميع الصحابة وإنما نترضى عمن نجزم بانه لا يطرد عن الحوض وتعيين المطرودين منهم يختلف باختلاف الأغراض فغلاة الشيعة لايترضون عن أصحاب وقعة الجمل والنواصب والخوارج لايترضون عن على وعثمان ومن معهما وآخرون لايترضون عن معاوية ومن كان معه وكل فرقة ترى أنها على الحق وأن حديث الحوض يؤيدها فإن طبقنا الحديث على الجميع أدى ذلك إلى أن معظم الصحابة لانترضى عنهم لأنهم ليسوا أهلا للترضى وإن خصصناه بفئة دون أخرى كان تحكما لا معنى له ثم ليعينوا لنا من هم الصحابة الذين لانترضى عنهم فإن لم يفعلوا – ولن يستطيعوا أن يفعلوا– فليجزموا معنا بأن حديث الحوض مشكل المعنى متروك الظاهر لما يلزم عليه مما أوضحناه.

(٢) ولهذا كان الإمام مالك ينهى عن روايته للحجاج الوافدين على المدينة، وعلى هذا يقال للوهابيين: إذا كان حديث عرض الأعمال معارضاً فى نظركم لحديث الحوض المتفق على صحته، فحديث الحوض يعارضه القرآن والإجماع. فى أن القرآن يؤيد حديث عرض الأعمال كما سبق بيانه ، فأى الحديثين أبعد عن الإشكال؟ وأولى بالقبول؟

خاتمة

في شرح ألفاظ الحديث وبيان معناه، قوله ﷺ «حياتى» أى وجودى بين ظهرانيكم (خير لكم) أى فيه خير لكم لأن فيه حفظاً لكم من البدع والفتن والاختلافات مع ما تورثه مشاهدته عليه الصلاة والسلام من كمال اليقين ونور العرفان، ثم بين بعض الخير فى حياته بما هم فى أمس الحاجة إليه فقال (تحدثون) بضم التاء وكسر الدال المشددة من التحديث (ويحدث لكم) بضم الياء وفتح الدال المشددة، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير: أى تحدثوني بما أشكل عليكم وأحدثكم بما يزيح الإشكال ويرفعكم إلى درجة الكمال واحتمال أن المعنى تحدثون طاعة ويحدث لكم غفراناً يدفعه أن ذلك ليس خاصاً بحياته أ. هـ. قلت بل يصح ضبطه تحدثون بضم التاء وسكون الحاء وكسر الدال، ويحدث بضم الياء وسكون الحاء وفتح الدال من الاحداث فيهما ويكون المعنى: تحدثون أموراً وأشياء مما تفعلونه فى حياتكم الخاصة والعامة ويحدث لكم بإزائها أحكام شرعية من تحليل وتحريم ينزلها الله حسب أسبابها الداعية إليها، مثلا ورد فى الحديث أن جماعة شربوا الخمر- قبل تحريمها- ثم حضرت الصلاة فقدموا أحدهم فقرأ قل يأيها الكافرون أعبد ماتعبدون فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] وهذا باب واسع بل هو علم ملحق بعلوم القرآن والحديث يسمى علم أسباب النزول. ألفت فيه كتب خاصة منها المطبوع والمخطوط، ثم قال (ووفاتى خير لكم) أى فيها خير لكم. لما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفاً بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره» الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم القوم ليصلح لهم المكان ويهيئه لنزولهم ثم بين الخير فى وفاته بما يفيد معنى الفرط فى حديث مسلم فقال:

(تعرض علىّ أعمالكم)[1] عرضاً إجمالياً كما سبق فى الوجه الثالث من وجوه

(١) اعترض الوهابيون على هذه الجملة أيضاً فقالوا: القرآن يعارضها قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فالشهادة خاصة بما رأى فى الحياة وليس هناك عرض ولاغيره، والجواب أن الآية الكريمة لاتعارض الحديث لوجوه:=

الجمع، أو تعرض على أعمالكم نفسها بدون ذكر أصحابها كما سبق فى الوجه الرابع لأن المقصود معرفة العمل نفسه وهل هو خير أو شر.

ويخرج من العرض أعمال المرتدين والكفار فإنها لاتعرض ثم قال (فما رأيت من خير) فى الأعمال (حمدت الله) على توفيقه لكم وهدايته إياكم (وما رأيت من شر) فى الأعمال (استغفرت الله لكم) أى طلبت المغفرة لكم إجمالا أو يكون معنى استغفرت الله طلبت منه أن يهديكم لأعمال صالحة تغفر بها ذنوبكم ويؤخذ من الحديث أمور.

(الأول) حياة النبى ﷺ فى قبره الشريف وهى حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] قال الإمام ابن حزم فى المحلى (ص٢٥ ج ا): ولا خلاف بين مسلمين[١] فى أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم ومن خالف فى هذا فليس مسلما ا. هـ.

وقال الحافظ السخاوى فى القول البديع (ص١٢٥): السادسة. يؤخذ من هذه

= أحدها: أن هذا خاص بدعوى النصارى وقولهم فى عيسى إنه الله أو ابن الله. وذلك أن الله وجه السؤال إلى عيسى بقوله ﴿**أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [المائدة: ١١٦] فنفى عيسى أن يكون قال ذلك ونزه الله عنه. ثم قال «وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم» أمنعهم من هذا القول «فلما توفيتنى» بالرفع إلى السماء «كنت أنت الرقيب عليهم» تمنع من شئت هدايته منهم وتعصمه. ولاشك أن عيسى إنما يملك أن يمنع قومه إذا كان موجداً فيهم فإذا فارقهم لم يملك منعهم حتى ولو عرضت أعمالهم عليه، فالآية لا علاقة لها بعرض الأعمال نفياً ولا إثباتاً.

ثانيها. أن عرض الأعمال خص به نبينا ﷺ كما خص بفضائل لم يشركه فيها أحد من الأنبياء. وإذا كان الله قد أكرم أمته لأجله فجعلهم شهداء على غيرهم فكيف لايكرمه بعرض أعمال أمته عليه؟!

ثالثها: أن الأنبياء دعوتهم خاصة بقومهم لاتتعدى إلى غيرهم. وشرائعهم محدودة بزمانهم فإذا مات النبى منهم لم يلزم غيره أن يتبعوا شريعته. فكانت شهادة الأنبياء قاصرة على قومهم الذين بعثوا فيهم، ولم يكن لعرض الأعمال عليهم معنى، لأن شريعتهم لم تلزم من يأتى بعدهم بخلاف النبى ﷺ فإن شريعته باقية وأمته مستمرة إلى يوم القيامة فكان لابد من عرض الأعمال عليه ليشهد عن عيان، والله المستعان.

(١) مسلمين بفتح الميم الثانية تثنية مسلم والمعنى واضح، وإنما نبهت على هذا لأن مصحح كتاب المحلى أشكلت عليه كلمة «مسلمين» فكتب عليها: كذا فى الأصل.

لأحاديث أنه ﷺ حي على الدوام وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه فى ليل أو نهار. ونحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق فى قبره، وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض، والإجماع على هذا، وزاد بعض العلماء الشهداء والمؤذنين وقد صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والشهداء فوجدوا لم تتغير أجسامهم، حتى الحناء وجدت فى بعضهم لم تتغير عن حالها. والأنبياء أفضل من الشهداء جزما ا.هـ.

وفى صحيح مسلم عن أنس عن النبى ﷺ قال: (مررت بموسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره) وفى صحيح مسلم أيضاً عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: (لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى) الحديث وفيه (وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه رجل من أزد شنوءة وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود، وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم فحانت الصلاة فأممتهم) الحديث وصح حديث أنس (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) صححه البهقى وغيره. والمقصود أن القرآن والسنة والإجماع كلها تدل على حياة الأنبياء فى قبورهم وأن أجسادهم لاتبلى.

(الثانى) حرص النبى ﷺ على مصلحة أمته وحب الخير لهم والدعاء لهم فى كل مناسبة. ولا غرو فهو بالمؤمنين رءوف رحيم كما وصفه خالقه ومولاه جل علاه. وتظهر رأفته بأجلى معانيها فى الموقف العظيم حين يتقدم إلى الشفاعة ويراجع ربه فى أمته المرة بعد المرة. وربه يجيبه ويعطيه. ويقربه ويدنيه. حتى يقول له مالك خازن النار (ما تركت لغضب ربك فى أمتك من بقية) فصلى الله وسلم وبارك عليه. وجزاه عنا أكمل وأفضل ماجزى نبيا عن أمته.

(الثالث) الحض على فعل الطاعات وترك المعاصى لأن المؤمن إذا علم أن عمله يعرض على النبى ﷺ وأنه يفرح بحسناته. حفزه ذلك إلى الإكثار من الطاعات والابتعاد عن المعاصى ما أمكن، ليسر نبيه. ولا يحوجه إلى الاستغفار. وإذا كان أبو الدرداء وغيره كانوا يستعيذون بالله من عملٍ يخزون به عند أقاربهم كما سبق فالمؤمن أولى بالابتعاد عن عمل يخزى به عند رسول الله ﷺ. هذا آخر الجزء، ووافق الفراغ منه صبيحة يوم الأربعاء ١٥ شوال المبارك سنة ١٣٦٨. ختم الله لنا بالحسنى والسعادة. وغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا وأحبائنا. إنه على كل شيء قدير. وبالإجابة جدير.

ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

«فائدة»

إذا ورد على الوهابيين حديث لا يوافق هواهم كحديث عرض الأعمال ورأوا أنهم لا مناص لهم منه ردوه بقولهم:

لايوجد فى الصحيحين ، أو لم يروه أحد من أهل الكتب الستة؛ يوهمون بذلك قليلي العلم أن كل حديث لايوجد فى الصحيحين ولا فى بقية الكتب الستة فهو حديث ضعيف أو موضوع، وهو إيهام باطل لاينبنى على أساس علمى صحيح، بل هو من جملة بدعهم التى أظهروها فى هذا الزمن، ولايوجد عالم فى الدنيا لا من الفقهاء المجتهدين، ولا من الحفاظ والمحدثين اشترط فى صحة الحديث أن يكون مروياً فى أحد الكتب الستة، بل العلماء متفقون على أن الحديث إذا استوفى شروط الصحة وجب العمل به سواء أكان داخل الستة أم خارجها.

فهذا ابن تيمية يستدل فى مؤلفاته بأحاديث يعزوها إلى الخلال وابن بطة وغيرهما، وهذا الحافظ ابن القطان صحح حديث ابن عمر أنه كان يتوضأ ونعلاه فى رجليه ويمسح عليهما ويقول: كذلك كان رسول الله ﷺ يفعل رواه البزار فى مسنده. وصحح الحافظ الضياء المقدسى أحاديث فى المختارة لاتوجد فى الكتب الستة، وكذلك فعل غيره من الحفاظ كالدمياطى، والمنذرى، والعراقى، والعسقلانى وغيرهم.

وقد رتب الحافظ ابن حزم فى (**كتاب مراتب الديانة**)، كتب الحديث الصحيحة التى يعتمد عليها فقال: أولى الكتب الصحيحان، ثم صحيح ابن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ، ثم بعد هذه الكتب كتاب أبى داود وكتاب النسائى، ومصنف قاسم بن أصبغ، ومصنف الطحاوى ومسانيد أحمد، والبزار، وابنى أبى شيبة أبى بكر، وعثمان، وابن راهوية، والطيالسى، والحسن بن سفيان.. إلخ كلامه فراجعه إن شئت فى (**تدريب الراوى شرح تقريب النواوى (ص٣٢)**) والمقصود أن ما يزعمه الوهابية فى الأحاديث المروية فى غير الستة، لايسنده نقل ولا يؤيده عقل، وإنما هى بدعة ابتدعوها للتخلص مما لا يوافق هواهم، لأنهم لايعرفون الإنصاف ولا ذاقوا له طعما. ولعلهم لم يسمعوا به إلا من خصومهم ومناظريهم.

هدانا الله وإياهم سواء السبيل.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	٥
ذكر طرق الحديث وبيان صحته	٦
شهادان للحديث فصل	٧
القرآن يؤيد الحديث	٨
هذه الأمة تشهد على غيرها من الأمم	٩
حديث الحوض يؤيد حديث عرض الأعمال	١٠
عرض الأعمال على الأقارب يؤيد الحديث	١٠
الصلاة والسلام يعرضان على النبى عليه السلام	١٢
تبرك الناس بأبى قرصافة الصحابى	١٧
حديث حياتى خير لكم صحيح على شرط مسلم	١٨
المرسل حجة عند المالكية والحنفية	١٨
دفع ما أورد على الحديث من الاعتراضات	٢٠
قبح تعبيرات الوهابية فى حق النبى عليه الصلاة والسلام	٢٠
الجمع بين الدليلين المتعارضين واجب	٢٠
الجواب عن حديث الحوض بأربعة وجوه	٢١
كلام الحافظ يشير إلى صحة حديث عرض الأعمال	٢٣
الإشكالات التى ترد على حديث الحوض	٢٣
حديث الحوض يعارضه القرآن والإجماع	٢٣

خاتمة فى شرح ألفاظ الحديث ٢٥
يؤخذ من الحديث أمور ثلاثة ٢٦
الأنبياء يصلون فى قبورهم ٢٧
حياة الأنبياء فى قبورهم ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع ٢٧
حديث (حياتى خير لكم) يحض على فعل الطاعات وترك المعاصى ٢٧
فائدة فى : إذا ورد على الوهابيين حديث لايوافق هواهم ٢٨

تم بحمد الله كتاب

نهاية الآمال فى

صحة وشرح حديث عرض الأعمال

اشراف

محمد بن على بن يوسف